دور المؤسسات الدينية في الحفاظ على الموروث الثقافي في ليبيا

د/المبروك محمود صالح سليمان **د/عبدالحميد ابسيس شعيب**

قسم الآثار الإسلامية/ كلية الآثار والسياحة/ جامعة طبرق قسم التاريخ/ كلية الآداب/ جامعة طبرق

الملخص:

تتناول هذه الورقة البحثية المؤسسات الدينية في ليبيا ودورها في الحفاظ على الموروث الثقافي، ودورها الريادي في الحياة العلمية في ليبيا، حيث أن المؤسسات الدينية كان لها دور أساسي في الحياة الفكرية والنهوض بالعلم وتطويره، وتكمن رسالة المؤسسات الدينية في إعداد حفظة كتاب الله والعلماء، وليس فحسب بل تطورت تلك الرسالة لتصبح المؤسسات نواة المؤسسات العلمية من كتاتيب لتحفيظ القران الكريم وعلومه، ومن ثم معاهد تدرس جميع العلوم النقلية والعقلية، وهي منابع ومؤسسات إشعاع علمي وحضاري، ولم تقف هذه الرسالة بل تطورت أكثر فأكثر حتى أصبحت جامعات، مما يدل على الزوايا في ليبيا لهن قاعدة علمية قوية. وقد أثبتت المصادر والمراجع أن تلك المؤسسات الدينية لم تكن تعطى رسائلهن داخل ليبيا فقط، بل امتدت الجذور العلمية لأبعد من ذلك إلى البلدان المجاورة.

الكلمات المفتاحية: (المساجد – الزوايا– الكتاتيب– التعليم الديني– المؤسسات الدينية – الموروث الثقافي).

Abstract:

This research paper deals with religious institutions in Libya and their role in preserving cultural heritage, and their pioneering role in scientific life in Libya, as religious institutions had a fundamental role in intellectual life and the advancement and development of science, and the mission of religious institutions lies in preparing memorizers of the Book of God and scholars. And not only that, but that message developed to become the institutions the nucleus of scientific institutions, from bookshops for memorizing the Holy Qur'an and its sciences, and then institutes that teach all the traditional and mental sciences, which are sources and institutions of scientific and civilizational radiation. This message did not stop, but rather developed more and more until they became universities, which indicates that Al-Zawiya in Libya has a strong scientific base. Sources and references have proven that these religious institutions were not only giving their messages inside Libya, but rather the scientific roots extended beyond that to neighboring countries .

key words: Mosques- Angles- Books- religious education- Religious institutions- Cultural heritage)

المقدمة:

منذ أن فتح المسلمون ليبيا عام 643 م بدأت هوية ليبيا الثقافية كبلد عربي إسلامي، حيث ارتبط الفتح الإسلامي بتأسيس المؤسسات الدينية: المساجد ورباطات والتي نتج عنها ظهور منارات علمية انطلق منها شعاع الثقافة الإسلامية إلى سائر المجتمع، حيث أدت هذه المنارات دوراً مهماً في احتفاظ البلاد بهويتها العربية الإسلامية ووقفت حائلاً دون محاولات الاستلاب الثقافي التي شهدتها البلاد بسبب الغزو المسيحي، حيث أنها ظلت الوسيلة الوحيدة للحفاظ على التراث الثقافي في الوقت الذي سادت فيه الفوضى السياسية البلاد، وقد اختلفت هذه المؤسسات العلمية باختلاف موقعها، ففي الحواضر أخذت المساجد والمدارس الملحقة بها على عاتقها مهمة نشر العلم والثقافة الدينية في المجتمع الليبي، بينما قامت بهذا الدور في الدواخل الرباطات والزوايا.

أهمية الدراسة:

جاء الاهتمام بالدراسة لما لها من أهمية مختلفة الأنماط: أن هذه الدراسة تعطى إشارة واضحة على مدى الاهتمام بإقامة المساجد في هذه الرقعة من أراضي الدولة الإسلامية، وقد ألحقت ببعض هذه المساجد الكتاتيب والمدارس الهادفة إلى تعليم مبادئ القراءة والكتابة وتحفيظ القرآن والحديث ومبادئ الشريعة الإسلامية.

إلى جانب ذلك فإن الموضوع غني من الناحية التاريخية مما يجعلها مؤهلة للدراسة؛ دراسة تاريخية جادة، تقوم بالتعريف بدور المؤسسات الدينية في الحفاظ على الهوية والموروث الثقافي بليبيا.

اشكالية الدراسة:

تسعى الدراسة إلى توضيح أثر المؤسسات الدينية في المحافظة على الموروث الثقافي في ليبيا، وكيفية انتقالها من دورها الدعوى والاصلاحي إلى مساهمتها بشكل كبير في النهوض الفكري وحفاظ على الموروث الثقافي. ولا يمكن إدراك هذا الهدف إلا من خلال الإجابة على جملة من التساؤلات والتي كان من بينها:

ما هي المؤسسات الدينية وما أثرها في الحياة العلمية والاجتماعية؟ وكيف ساهمت في الحفاظ على الموروث الثقافي؟.

ما هو الدور الذي لعبته المؤسسات الدينية في الحفاظ على الموروث الثقافي بليبيا؟ وكيف كان موقف المؤسسات الدينية في الحفاظ على الموروث الثقافي إبان فترات الاستعمار المسيحي؟.

ولتوضيح الدراسة تم تقسيمها إلى عدة مباحث هي:

المبحث الأول: دور المؤسسات الدينية الليبية في المحافظة على الموروث الثقافي إبان العهود الإسلامية:

المبحث الثاني: المؤسسات الدينية ودورها في الحفاظ على الموروث الثقافي خلال العهد العثماني:

المبحث الثالث: التعليم الديني العام ودوره في المحافظة على الموروث الثقافي:

المبحث الأول: دور المؤسسات الدينية الليبية في المحافظة على الموروث الثقافي إبان العهود الإسلامية:

يعد المسجد مدرسة بكل ما تحمله هذه الكلمة من معانٍ؛ ففيه تلقى الدروس الدينية، كما يعد ملتقى للمثقفين من الطلاب والباحثين عن العلم، وقد انتشرت المساجد في ليبيا منذ الفتح الإسلامي، وهو ما أشار إليه التيجاني عند زيارته في القرن الرابع عشر الميلادي بأن جوامع ومساجد طرابلس كثيرة وتقوم بعدة وظائف(1).

المطلب الأول: دور المساجد في الحفاظ على الموروث الثقافي خلال العهود الإسلامية:

عندما فتح عمرو بن العاص طرابلس عام (23هـ/643م) شيده بها مسجده الذي حمل اسمه(1)، كما بناء جامع العمْرُوض شرق طرابلس(1)، وبالتالي أصبح الاهتمام ببناء المساجد والتي كان أشهرها: مسجد أبي عبيدة عبدالحميد الجناوني الذي اتسع ليستوعب سبعين عالماً من علماء قرية جناون بجبل نفوسة(1).

أما في العهد الفاطمي، فتم تشييد (جامع الناقة)(1)، بالإضافة إلى بناء الجامع الأعظم الفاطمي سنة 300 هـ (1)، الذي بلغ أقصى شهرته في عهد الصنهاجيين، حيث اشتمل التعليم فيه على مختلف العلوم الإسلامية والعربية، وأصبح بذلك بمثابة جامعة ليبية قائمة بذاتها(1).

وفي العهد الحفصي، تم شيّد العديد من المساجد، وأبرزها: مسجد سيدي عبدالوهاب القيسي(1) وجامع سالم المشاط وجامع الدروج الذي قام ببنائه الشيخ إسماعيل بن يربوع، وهو من أشهر جوامع في مدينة طرابلس(1). هذا كما اهتم الحفصيين ببناء المدارس، ومن أهمها: المدرسة الشماعية: التي تعد أول مدرسة ظهرت في عهد السلطان أبي زكريا الأول عام 1229م، والمدرسة التوفيقية: التي شيدت في عهد السلطان المنتصر عام 1249م. وقد تميزت تلك المدارس بصغر حجمها وبتوفيرها لأماكن الصلاة والدرس ولإقامة الطلاب(1). وفي العهد الإسلامي ضمت مدينة درنة أحد عشر مسجداً قديماً، من بينها جامعان، والتسعة الأخرى مساجد صغيرة، خمسة منها مجددة إلى زوايا حديثة، كمسجد الصحابة ومسجد أبو منصور ومسجد ميمون ومسجد الجبيلة(1).

وفي القرن الثامن الميلادي أنشئت العديد من المدارس في جبل نفوسة(*)، حيث يعد مركزاً للعديد من المدارس، مثل: مدرسة عمرو بن يمكتن بقرية ايفاطمان. كما اشتهر القرن العاشر الميلادي بالكثير المدارس في جبل نفوسة منها: مدرسه يحيى سليمان بن ماطوس ومدرسة أبي هارون موسى بن يونس الجلالمي ومدرسة أبي يحيى زكريا بن إبراهيم الباروني، بالإضافة إلى مدرستي كل من: أبي عثمان سعد بن أبي يونس الطمزيني وأبي المنيب محمد بن يانس(1).

هذا وقد تعدد العلوم التي يدرسها طلابها، إلا أنه لم تبلغ من الشهرة ما بلغته المدرسة المنتصرية التي بناها الفقيه أبو محمد عبد الحميد بن أبي البركات بن أبي البركات بن أبي الدنيا بين عامي 1160– 1162م في عهد الموحدين أثناء ولاية بني مطروح على طرابلس. وقد أثنى التيجاني على هذه المدرسة ووصفها بأنها من أفضل مدارس تلك الفترة اهتماما بالحفاظ على الموروث الثقافي(1).

ولم يكن مقتصراً التعليم في تلك المدارس على الذكور، بل أن هناك مدارس لتعليم البنات: كمدرسة أمسين بجبل نفوسة، بالإضافة إلى وجود المدارس المختلطة التي تتلقى فيها الفتاة دروسها الدينية إلى جانب الفتي، مثل: مدرسة أبي محمد خصيب بن إبراهيم في قرية تمصمص، وقد درست بهذه المدرسة فتاة تدعى أم ماطوس وهي أول فتاة ليبية تتلقى تعليماً في مدرسة للفتيات(1).

وبذلك فإن ليبيا شهدت خلال العصور الوسطى ما شهدته غيرها من البلدان الإسلامية من اهتمام بالمراكز التعليمية، التي عملت على ترسيخ الطابع الإسلامية بما تقدمه لطلابها من تعاليم دينية، كما نلاحظ ارتباط أسماء كثير من المساجد والمدارس بأسماء الفقهاء مما يعطي مؤشرا على مجهودات هؤلاء المخلصين سواء في تأسيس هذه المناورات أو القيام بأعمالها.

المطلب الثاني: الزوايا ودورها في الحفاظ على الموروث الثقافي في العهود الإسلامية:

لقد قامن الزوايا الليبية بدور بارز في مجال نشر العلم والثقافة الإسلامية وحماية الموروث الثقافي: زاوية أحمد الزروق بمصراته التي تعد أقدم معهد ديني في البلاد، حيث كان يصدها من أكمل حفظ القران الكريم في الكتاتيب. وقد حوت مكتبة زاوية الزروق على الكثير من المخطوطات في مختلف فروع المعرفة سواء تلك التي ألفها أحمد الزروق أو ما استجلبه من البلدان التي زارها، بالإضافة إلى مؤلفات علماء الزاوية والدارسين بها: كأحمد بن غلبون والشيخ رمضان أبو تركية(1).

وفي منطقة مسلاته تقع زاوية الشيخ الدوكالي بقرية زعفران بمسلاته والتي تأسست في نهايات القرن الخامس الهجري وبداية القرن السادس الهجري، ومؤسسها الشيخ عبدالله الدوكالي وهو سابق الشيخ عبدالواحد الدوكالي الذي ولد عام 840هـ بزمن طويل وهو من أجداد الشيخ عبدالواحد وتعرف الزاوية بزاوية عبدالواحد الدوكالي(1). وكان الشيخ قد تلقى علومه في مصر ومن أبرز شيوخه الذين تأثر بهم والده الشيخ محمد بالفتح بن أحمد بن أبي عبدالله محمد الدوكالي(1).

وكانت المناهج الدراسية بزاوية منوعه ومختلفة منها: العلوم الشرعية وعلم الفقه الإسلامي وعلم الحديث والتفسير والبلاغة والأدب وعلم التصوف. وكان من أبرز طلاب الزاوية الشيخ ميلاد بن محمد شنيشح والشيخ أحمد أبوبكر الشريف والشيخ امحمد الكراتي الفقيه والشيخ المهدى محمد الشوماني والشيخ ابراهيم محمد الأحمدي وغيرهم(1).

اشتهرت زليتن من بين المدن الأكثر تعليم للفقه المالكي وتحفيظ القرآن في واحدة من أهم المؤسسات التعليمية في البلاد على مر 500 عام، لتكون وسيلة جذب لكثير من الأسر، التي استقرت بها القادمة من بلاد المغرب الأقصى: كأسرة الفواتير التي كان لها دوراً مهما في الحياة العلمية والدينية بالمدينة، إلى جانب استقرار أسر أخرى أتت من بلاد الأندلس: كأسرة الفطيسي والتي لعبت دوراً مهماً في الحياة الثقافية بالمدينة. ومن خلال تلك الأسر ظهرت أولى الزوايا العلمية بزليتن وهما: زاويتا الستة وأولاد سليمان السبعة، لتكون منطلق للحركة العلمية وتتطور عبر فترات زمانية وتوافد الشيوخ وطلبة العلم الوافدين إليها. ولاشك أن تأسيس الشيخ عبدالسلام الأسمر لزاويته خلال القرن العاشر الهجري وتحديداً عام 1494م اكسب المدينة مكانة علمية مرموقة(1).

وتعد من أشهر زوايا ليبيا وتعرف بزاوية الشيخ ومهمتها تعليم وتحفيظ القرآن الكريم، وفيها حجر كثيرة لسكنى طلبة العلم والقرآن الكريم، ونظراً لذيوع صيت هذه الزاوية وما تقوم به من نشاط تعليمي؛ أطلق عليها اسم المعهد الأسمري. ولهذه الزاوية فضل كبير في ليبيا بل حتى في العالم الإسلامي لما حملته من دور بارز في المحافظة على الموروث الثقافي الإسلامي(1).

إن مراحل التطور العلمي لزاوية الشيخ عبدالسلام الأسمر قد مرة بعدة تطورات علمية، فبدأت بكتاب لتحفيظ القرآن الكريم لأبناء المسلمين، ومن ثم معهدا دينياً يدرس العلوم العربية الإسلامية ويمنح إجازات علمية تسمى أهلية، وكذلك الإجازة العالمية، ومن ثم جامعة سميت باسمها إلى حد الآن، وفي رحاب زاوية الشيخ عبدالسلام الأسمر بزليتن كان ميلاد الجامعة الأسمرية للعلوم الإسلامية(1).

ان مكان الميلاد هذا لم يكن اعتباطاً أو وليد الصدفة، وإنما هو تقدير للدور الحضاري والعلمي الذي قامت به هذه الزاوية في مجتمعنا الليبي. فمنذ ما يزيد عن خمسة قرون، وتحديداً في العقد الثاني من القرن العاشر الهجري (912هـ/1506م). وكانت في هذه الزاوية مكتبة عظيمة تحوى أكثر من خمسمائة مجلد في مختلف العلوم، وكان من بين هذه المجلدات مؤلفات الشيخ نفسه، وقد نهبت أغلبها(1)..

هذا بالإضافة إلى وجود زوايا أخرى أدت نفس الدور العلمي الثقافي مثل: زاويتي الجعراني، وأبي جعفر بجنزور والبازة بزليتن وطبقة بأرض الزنتان وزاوية السنى بمزدة(1). إلى جانب زاوية الطواهرية التي تأسست في منطقة بوزيان في غريان، حيث أسسها السيد عبدالله بن السيد عبيد الشارف، وقد اشتهرت في تعليم أبناء تلك المنطقة، وما جاورها وبها حجر يسكنها طلاب العلم الذين تبعد بيوتهم عن مكان الزاوية(1).

المبحث الثاني: المؤسسات الدينية ودورها في الحفاظ على الموروث الثقافي خلال العهد العثماني:

عندما حل العثمانيون بالبلاد عام 1551م، وجدوا البلاد على شيء من الإرث الثقافي الإسلامي، وورث عهدهم الكثير من المؤسسات الدينية التي تعد الطابع الإسلامي الذي اتسم به العهد العثماني:

المطلب الأول: المساجد ودورها في الحفاظ على الموروث الثقافي:

لقد حذا الحكام العثمانيون حذو أسلافهم من أمراء المسلمين، فتنافسوا على تأسيس الجوامع وما يتبعها من مدارس(1)، ومن أشهر تلك المساجد والجوامع: جامع مراد أغا: بناه مراد أغا بمنطقة تاجوراء عام 1552م، وجامع درغوت باشا أسس في عام 1560م(1). ومسجد عثمان باشا: بناه الوالي العثماني عثمان باشا الساقزلي (1649–1672م)، وجامع الدباغ: أسسه الشيخ محمد الدباغ خلال حكم خليل باشا الأرناؤوطي بوسط المدينة القديمة. جامع سيدى أبوسعيد: تم بناؤه خلال حكم الوالي حسن أبازة (1680–1697م) بمنطقة ابي مشماشة بطرابلس. وجامع شائب العين: أسسه الوالي العثماني محمد باشا الملقب بشائب العين (1699–1698م) (1).

وقد ألحقت بتلك المساجد العديد من المدارس التي كان لها شأن في نشر العلم والحفاظ على الموروث الثقافي من بينها: مدرسة عثمان باشا التي أسست بطرابلس عام 1654م، ومدرسة أحمد باشا التي أسسها أحمد باشا القرمانلي وألحقها بمسجده الذي بناه 1738م، وكذلك مدرسة الكاتب التي أسست في عهد علي باشا القرمانلي عام 1769م، ومدرسة قرجي التي أسسها مصطفى قرجي عام 1834م ومدرسة ميزران التي أسسها مصطفى ميزران في نفس الفترة تقريباً بشارع الزاوية بطرابلس. ورغم أن المنهج بهذه المدارس لم يكن موحداً، فإنه كان متقارباً حيث كان معتمداً على كتب التراث العربي الإسلامي التي تضم مناهجها: القرآن الكريم، وعلوم التفسير، الحديث النبوي، الفقه، أصول علم الكلام، علم التصوف، الأدب العربي شعراً ونثراً الحساب، الجبر العلوم الهندسية، المساحة، الفلك، علم المواريث وغيرها(1).

وكان شيوخ المساجد يلعبون دورها مهما في رفع مستوى الطلاب بإقامة الحلقات الدراسية، وبجانب تحفيظ القرآن الكريم؛ يدرسون الطلبة علوماً أخرى: كعلوم الحديث والفلك والمنطق وعلم الكلام واللغة، مما جعل الدراسة بهذه المراكز تشبه إلى حد كبير الدراسة بالأزهر من حيث العلوم التي تدرس فيها، والطريقة التي يتم بها تدريس تلك العلوم. لذا فقد

كان بعض الطلبة يلتحقون بالدراسة بالأزهر بمصر أو الزيتونة بتونس عند استيفائهم للدروس المقررة بالحلقات التي يعقدها هؤلاء الشيوخ(1).

وقد قادة كثير من خريجي الأزهر والزيتونة الحركة الفكرية في ليبيا، وتتلمذت على أيديهم طائفة من المثقفين الذين تمكنوا من النهوض بالحياة الفكرية في البلاد، ويكفى أن نستدل على أهمية دور هؤلاء العلماء بالدور الذي قام به محمد كامل بن مصطفى الذي أتم تعليمه بالأزهر عام 1854م، وأسند إليه منصب الإفتاء بطرابلس عام 1893م، كما جلس للتدريس في معظم مدارس طرابلس، كمدرسة عثمان وأحمد باشا ومصطفى قرجى، الإضافة إلى تدريسه اللغة العربية بالمدرسة المرشدية. وكان على اتصال بمشايخ الأزهر والزيتونة، فقد راسل كلا من مفتى الديار المصرية العباس المهدي، وصديقه أحمد بن الخوجة مفتى تونس في كل ما يشق عليه فهمه من مسائل الفتاوي. بالإضافة إلى ذلك كانت له جلسات ومحاورات مع كثير من أعلام عصره أثناء ترحاله، ففي تونس جالس العالم صالح البترسقي وناقش معه مسألة دخول الفرنسيين البلاد، وما آلت إليه أحوال المسلمين، وفي تركيا التقي بالعلامة أحمد فارس الشدياق وجرت بينهما بعض المجادلات اللغوية(1).

وكان ما يميز وجود محمد كامل في طرابلس خلال نهايات القرن التاسع عشر الميلادي، حضور الكثيرين مجلسه، فتتلمذ على يديه كثير من الطلاب ممن كان لهم أثر في الحياة الفكرية في ليبيا، ومن بين تلامذته الذين توثقت صلته بهم: إبراهيم باكير، عبدالرحمن البوصيري، وأحمد الفقيه حسن وهم من كبار علماء طرابلس وأدباءها، حيث أقبل هؤلاء على العلم بشغف ونظروا إليه من زاوية جديدة، فتفتحت أمامهم آفاق جديدة دفعتهم للتطلع لتطور أكثر، وأخرجتهم من النطاق المحدود الذي كان يحيط بهم(1).

المطلب الثاني: الزوايا ودورها في الحفاظ على الموروث الثقافي:

لقد انتجت الزوايا عناصر ساهمت في المحافظة على الموروث الثقافي في الوقت الذي تعرضت فيه لمحاولة الاستلاب الثقافي، فعلي سبيل المثال قام أحد طلبة زاوية الأسمر بزليطن وهو الشيخ محمد الصفراني بافتتاح بيته في بنغازي عام 1936م مدرسة للمثقفين والفقهاء ليتزودوا أكثر بعلوم الدين(1).

وفي عام 1843م أسس محمد بن علي السنوسي الزاوية البيضاء بالجبل الأخضر، لتكون بذلك اللبنة الأولى للحركة الاصلاحية التي ظهرت في ليبيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر(1)، ولم تلبث الزوايا السنوسية أن انتشرت في ليبيا حتى بلغ عددها تسعاً وثمانين زاوية، منها تسع وأربعون في إقليم برقة أشهرها: الزاوية البيضاء(*) تقع في الجبل الأخضر وهي أول زاوية تم تأسيسها في برقة وهب مربعة الشكل وفيها 23 حجرة لسكنى طلبة العلم وحفاظ القرآن الكريم. وكذلك زاوية العزيات النجيلة أوجلة مسوس واللبه في جالو(1).

أما في إقليم طرابلس فقد بلغ عددها ثماني عشرة زاوية أشهرها النزورات، الرجبان، بو مهدي، العمامرة، ورفلة، وغيرها. وفي فزان بلغ عدد الزوايا السنوسية اثنين وعشرين زواية ممتدة من الجغبوب إلى غات ومن غدامس إلى الكفرة ومن أهمها سنوان وغدامس ومزدة(1). والزاوية كما يقول عنها التيجاني: "...المركز التعليمي للقبيلة، ففيها المدرسة القرآنية، التي يتلقى فيها أطفال القبيلة العلم، والمسجد الذي تقلم فيه الصلوات، وتلقى الدروس التي يحضرها أفراد القبيلة(1).

بذلك فإن الزاوية قامت بدور المؤسسة التعليمية، التي يتلقى فيها التلاميذ تعليمهم الديني، كما أنها مصدر إشعاع ثقافي من خلال ما تقدمه من محاضرات لكبار السن من أفراد القبيلة، وتخلفت الزوايا في أهمية ما تقدمه لمريديها من علوم، فزاوية الجغبوب التي بناها مؤسس الحركة السنوسية 1856م واتخذها مركزاً لدعوته بدلاً من الزاوية البيضاء، هي أهم الزوايا السنوسية قاطبة وهي بمثابة معهد أو مدرسة عليا تجاوز التعليم فيها حفظ القران إلى تدريس مختلف العلوم العقلية والنقلية وقام بالتدريس في هذا المعهد كبار العلماء وحفظة القران، ولذا فقد أعد طائفة لا بأس بها من العلماء والشعراء والقراء والكتاب، ويكفى دليلاً على شدة الاهتمام بتحفيظ القرآن أن المدرسة القرآنية بهذا المعهد خرجت في إحدى السنوات ثمانين طالباً ينتمون لقبيلة واحدة، ومما لاشك فيه أن أعداداً مماثلة لهذا العدد جاءت لقراءة القران وحفظه عدا الطلاب العلوم الدينية الأخرى(1).

ورغم أن مركز الدعوة تحول في عام 1894م إلى الكفرة فإن معهد الجغبوب احتفظ بطابعه الديني ومكانته المعنوية، وظلت مكتبته التي ضمت كثيراً من المخطوطات والكتب المستجلبة من مصر والحجاز والشام والآستانة وتونس ومراكش والتي قدرها الحشائشي عند زيارته للبلاد بحوالي ثمانية الاف مجلد وتؤدي دورها التثقيفي لكل الراغبين في الاستزادة من معينها(1).

وقد بلغت مراكز زوايا السنوسية خلال عام 1897م قرابة ست وعشرين مركزاً إصلاحياً علميا وأن خمسة آلاف تلميذ تم تسجيلهم في تلك السنة وأن ألفى تلميذ تم تسجيلهم بالزاوية السنوسية في الجغبوب وحدها(1). وفي عام 1900م بلغ عدد المراكز التعليمية في الدواخل الليبية قرابة ثمان وسبعون مركزاً تعليميا، وأن نحو ستة عشر ألف وخمسمائة تلميذ فد تم تسجيلهم في تلك المراكز فقط(1).

وقد هيأ التعليم الديني في الزوايا السنوسية وغيرها من الزوايا عناصر ساهمت في النهوض بالحياة الثقافية في ليبيا، ومن أمثال هؤلاء: الشيخ محمد الحبيب عزالدين الذي حفظ القران في مقر إقامته بغدامس، ثم سافر إلى تونس ليتم تعليمه في جامع الزيتونة، حيث تحصل على شهادة التطويع وهي أعلى الشهادات التي تمنحها هذه المؤسسة العلمية ثم سافر إلى مصر واتصل بمشايخ الأزهر، وعندما عاد إلى بلاده احترف مهنة التدريس والتوجيه، وكان إلى جانب دروسه المستديمة بالمساجد، يعطى دروساً خاصة للمتفوقين من تلاميذه بمنزله، كما كان من هواة جمع الكتب، حيث حوت مكتبه العديد من المجلدات والمخطوطات(1).

كما درس الشيخ عزوز بالأزهر، ونال شهادة العالمية بعد إتمامه لتعليمه الديني في الكتاتيب والزوايا، وعاد ليتولى القضاء بدرنة عام 1929م، وقد تتلمذ على يد هذا الشيخ الشاعر إبراهيم الأسطى عمر وهو أحد قادة الحركة الفكرية في ليبيا في عهد الإدارة البريطانية. أما الشيخ عبدالجواد أفريطيس فقد عين عقب عودته من الأزهر في العهد الإيطالي كاتباً بمحكمة درنة الشرعية ثن مدرساً ومحرراً لبعض الصحف، وإلى جانب هؤلاء هناك الكثيرون أمثال: الشيخ عبدالرحمن الديبالي، الشيخ عبدالقادر الحصادي، محمد خلوصي ومحمد سالم بنه عمران وغيرهم ممن أخذوا على عاتقهم مهمة التعليم في مدينة درنة(1).

ولولا وجود تعليم مبدئي منحته الزوايا والكتاتيب لهذه النخبة المثقفة جعلها تلتحق من أجل رفع مستوها العلمي بـ(الأزهر والزيتونة)، ولذا فإن الدور الذي لعبته هذه المراكز الدينية يكمن في أنه كان أساس التعليم في ليبيا في غياب المدارس الحديثة ذات الطابع الوطني.

المبحث الثالث: التعليم الديني العام ودوره في المحافظة على الموروث الثقافي:

كان بداية ظهور التعليم الديني العام بليبيا؛ مع إنشاء معهد السيد محمد بن علي السنوسي بمدينة البيضاء عام 1952م، وكان نظامه التعليمية شبيه للنظام التعليم الأزهري، وكانت الغرض من تأسيسه هو تشجيع الطلاب على حفظ القرآن الكريم وتعميم الثقافة الإسلامية، وكانت المعهد عبارة عن زوايا دينية انظم البعض منها تحت إدارة معهد السيد محمد بن علي السنوسي، والزوايا التي انضمت للمعهد السنوسي هي: زاوية الشيخ عبدالسلام الأسمر عام 1957م ثم تلتها زاوية السبعة الفواتير عام 1961م، ثم زاوية ابحبح ومسجد سيدي أبورحيل وزاوية الباز(1):

أما عن المناهج الدراسية بالتعليم الديني، فمنذ الفترة من 1955 حتى 1961م تم استحداث مناهج تربوي للعلوم الحديثة، تدرس كل سنة دراسية من السنوات الست: كالدين، والتهذيب، والقواعد النحوية، والتعبير، والإملاء والخط، والمطالعة، والمحفوظات والحساب، والصحة، والرسم والأشغال، والتجويد، والتربية البدنية(1). والقرآن الكريم فكان يدرس في كل السنة جزأ إلى عدة أجزاء، والدراسة صباحية(1).

وكانت عودة شيوخ وعلماء أبناء زليتن ممن درسوا بجامعي: الأزهر والزيتونة، مثل: الشيخ منصور سالم أبوزيدة والشيخ أحمد مفتاح المحجوب عام 1934م، وقدوم الشيخ فرج عبد السلام الفيتوري والشيخ أبوبكر محمد حمير بعد إتمام دراستهما بالأزهر والتحاقهما بالزاوية عام 1947م، دورا مهما في رفع المستوى اللغوي بزليتن والمنطق المجاورة، وإدخال السياسة التعليمة المتطورة ما بين عامي (1948–1951م)(1). فتم تطبق النظام التدريسي الأزهري وتقسيم الدراسة إلى مراحل متعددة بالتعاون مع إدارة المعهد(1)، فاستحداث الشهادة الأهلية والعالمية، مع بقاء الدراسة بشكلها المعتاد، وبلغ عدد المقررات اثنا عشر مقرراً: (الفقه وأصول الفقه والبلاغة والحديث ومصطلح الحديث وتفسير القران الكريم والتوحيد والمنطق والنحو والصرف)، بحيث يجرى لهم امتحان لنيل الشهادة الأهلية أو العالمية. أما عامي 1952–1955م فانتقل المعهد إدارياً وعلمياً من الأسلوب الحر إلى الأسلوب المنظم(1):

وفي شهر نوفمبر 1954م أصدر الملك إدريس توجيهاته إلى حكام الولايات الثلاث لاتخاذ السبل الكفيلة بضرورة تدريس العلوم الدينية على الطلبة في جميع المدارس كمادة أولية مفروضة وفرض الصلاة في أوقاتها(1).

كما كان للإناث مكانة في التعليم الديني، فمثلاً: تم تأسست أول مدرسة بـ(زليتن) عامي 1965– 1966م وهي (مدرسة الأسمري القرآنية للبنات) ونظامها مرحلتين هما: الأولى: مدتها ست سنوات، تحفظ بها التلميذة القرآن الكريم، وتدرس مواد: (الدين والتهذيب، والقراءة، وقواعد اللغة العربية، ومبادئ العلوم والصحة، والتربية الوطنية، والتاريخ، والجغرافيا، والتربية الفنية، والأشغال اليدوية النسوية). أما المرحلة الثانية: مدتها أربع سنوات، وتدرس بها التلميذة أغلب المواد السابقة بالإضافة إلى مادة (تفسير آيات الأحكام من القرآن الكريم، والحديث، والفقه والمواريث، والتربية النسوية الشاملة للمنزل وتربية الأطفال)(1).

أما ما يخص الامتحانات فتقام في نهاية العام الدراسي، ويكون أحدها تحريري لكل المواد، والآخر شفوي للقرآن الكريم وبعض المواد الدراسية كمادة التجويد والمطالعة والمحفوظات التي درسها التلميذ طوال العام الدراسي، ويحدد من خلالها نجاح التلميذ رسوبه، وتعطى له بطاقة درجات بذلك في نهاية آخر العام(1).

كما كانت الدراسة بـ(المعهد الأسمري الديني الفرعي)، الذي انضم إلى إدارة معهد السيد محمد بن علي السنوسي الديني عام 1957م بنفس المناهج المستحدثة ومراحله الدراسية، وشهدت فترة انضمامه بفترتين كان لها أثرهما في تطور والحفاظ على الموروث الثقافي، فبدأت الفترة الأولى أعوام 1957-1961م حيث تحول خلالها المعهد السنوسي إلى جامعة تحت اسم جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية، وجاءت مراحلها التعليمية كما يلي: المرحلة الإبتدائية مدة دراستها أربع سنوات، وفي هذه المرحلة يكمل الطالب حفظ القرآن الكريم، وبعد نجاح الطالب بعد اتمام مدة الدراسة يحصل على الشهادة الإبتدائية التي تؤهله للانتقال إلى المرحلة الثانوية. ويدرس الطلبة في هذه المرحلة عدة مقررات؛ فجاءت مقررات اللغة العربية كالتالي: (الإنشاء والنحو والصرف والإملاء والمطالعة والمحفوظات وتجويد القرآن الكريم)(1). والمرحلة الثانوية ومدتها خمس سنوات، وبعد اتمام الخمس سنوات يحصل الطالب على شهادة اتمام الدراسة الثانوية التي تؤهله للانتساب إلى إحدى الكليات أو العمل في إحدى الدوائر الحكومية، ودرس في هذه المرحلة مقررات: (الفقه التفسير والتوحيد والنحو والصرف والبلاغة والإنشاء والأدب والمطالعة والمحفوظات والمنطق وأدب البحث) وغيرها من مواد أخرى(1).

أما عن الفترة الثانية فتميزت بالتطور من خلال تغيير المراحل الدراسية وتطوير المناهج حيث تكونت من: المرحلة الابتدائية مدتها ثلاث سنوات. والمرحلة الإعدادية ومدتها ثلاث سنوات وكذلك المرحلة الثانوية ومدتها ثلاث سنوات. وقد جاءت المقررات كما يلي في تلك المراحل: (الفقه وأصول الفقه و التوحيد والتفسير والحديث والنحو والصرف والبلاغة والأدب والمنطق والإنشاء والإملاء والخط والافتاء والاخلاق). من المعلوم أن هذه المقررات قد أسهمت في النهوض باللغة العربية والاحتفاظ بالهوية الإسلامية بزليتن خلال تلك الفترة. كما التحق بدراسة أبناء المدن المجاورة لزليتن، وذلك لوجود قسم داخلي لمبيت الطلاب وتوفر وجبات الغذائية المختلفة، إلى جانب وجود مستوصف صحي وبذلك بلغ عدد الطلاب الذين درسوا بالمعهد إلى 210 طالباً، وكان عدد المعلمون إلى 21 معلماً في العام الدراسي 1961-1962م. بالتالي كانت نسبة النجاح عالية جداً وخاصة في المرحلتين الإعدادية والثانوية، وهذا دليل على المستوى العالي للتحصيل عند طلاب المعهد، بفضل الظروف التي تهيئت لهم من إقامة وإعاشة، لينعكس ذلك بالإيجاب على مستواهم العلمي، إلى جانب الكفاءة العلمية للمعلمين الوطنيين والمصريين من خريجي الجامع الأزهر الذين كان له دور في تفوق الطلاب(1).

وكانت وزارة المعارف تمنح الطلبة المتفوقين في علوم القرآن الكريم فرص لدراسة خارج ليبيا من خلال إيفاد بعضهم ومنحهم مكافآت مالية بعد وضع مقارنات مع ما يتقاضه نظرائهم في المؤسسات التعليمية في الدول المجاورة فمثلا: الطالب الجامعي يقتضى 17 جنيها ليبيا شهرياً، وفي الأزهر يأخذ 4 جنيهات؛ ولأن الطالب سيدرس سنة واحدة نرى منحه 15 جنيها ليبيا شهريا(1).

وأن أبرز أشكال الرعاية والاهتمام بالعملية التعليمية في المعاهد الدينية فهو إنشاء القسم العالي بمعهد السيد محمد بن علي السنوسي والغرض منه؛ تخريج علماء يوكل إليهم نشر الثقافة الإسلامية ورعايتها وأعمال الوعظ والإرشاد وتولى الوظائف والأعمال التي يحددها المجلس الأعلى وفقاً للقوانين واللوائح السارية(1)..

وفي هذا الصعيد كانت جامعة محمد بن علي السنوسي تسعى من أجل النهوض بمستوى الطلبة الدارسين به من خلال تطوير النظام التعليمي بها؛ حيث صدر قانون منح الشهادة العالمية المؤقتة لمن يريد الحصول عليها من خلال اجارة امتحان خاص، وقد رصدت ميزانية لأجل تغطية مصاريف الجامعة واعتبرت ذات ذمة مالية مستقلة(1).

الخاتمة:

لقد أسست المؤسسات الدينية الركيزة الأولى في البرامج التعليمية في ليبيا، حيث لعبت دوراً مهماً في الحفاظ على ما أمكن من التراث الثقافي الليبي أكثر من كونها مركز إشعاع علمي ونهوض بالثقافة، وبالاطلاع على التاريخ الثقافي والعلمي للأحقاب السابقة يكفى أن نلاحظ بروز العديد من العلماء الذين أجادوا في جونب مختلفة من الفكر والأدب، خاصة في مجالات العلوم الدينية واللغوية والآداب والتاريخ رغم حياة البؤس التي فرضتها الظروف السياسية والاقتصادية السيئة آنذاك.

– أن انتشار المساجد والزوايا في ليبيا وما حولها، يعد من أهم العوامل التي ساعدت في المحافظة على الموروث الثقافي، وذلك من خلال حفظ القرآن الكريم ودراسة العلوم الشرعية وغيرها.

– أن دراسة علماء ومشايخ الزوايا الليبية الدارسين بـ(الأزهر والزيتونة) واحتكاكهم بالمثقفين العرب، أدى إلى نشوء طبقة مثقفة بليبيا؛ جعلهم يقومون بدور أساسي في المحافظة على الموروث الثقافي آنذاك.

– أن انضمام معهد الأسمري لمعهد السيد محمد بن السنوسي، انما يشير إلى تطور المنظومة التعليمية بليبيا، ودل على ذلك وجود شخصيات مهمة درست في هذا المعهد أمثال إدريس دبى الذي تولى لرئاسة الجمهورية التشادية.

–أن الفقر والعادات الاجتماعية في المدن الليبية، كانتا من أهم العوائق التي واجهت الدارسين وعدم الالتحاق بالمدارس.

–حاربت الدولة ظاهرة الامية، وهو ما لاحظنا في التعليم المجاني للبنات والذكور، ناهيك عن الدورات المكثفة من أجل الحد من محو الامية.

– أن الزيادة في عدد المتعلمين والمؤسسات التعليمية قد زاده في المحافظة على الموروث الثقافي.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: الوثائق:

–م. ج. ل. ط، شعبة الوثائق المعاصرة، م/96/13/8، رسالة من مجلس الوزراء الى مدير عام إدارة الخدمة المدنية 1960/11/26م.

– أ. م . و، وزارة الأوقاف، الملف رقم 13، الوثيقة رقم 34 مذكرة نظارة المعارف بشأن ايفاد الطالب الصادق عبدالرحمن الغرياني بدراسة فن التجويد، وعلوم القراءات بمصر، بتاريخ 1958م، وهي إحدى الحالات التي تم دراسة وضعها.

ثانياً: الكتب:

أبو الرحاب، محمد السيد محمد (د – ت)، تصاميم العمائر الدينية الحفصية والزيانية والمرينية ببلاد المغرب: دراسة أثرية مقارنة، دار المنظومة، فاس، المغرب.

أبو ديب، الصيد محمد (1968)، شاعر من ليبيا، مراجعة: أحمد قنابة، ط1، لبنان، بيروت، دار الكتاب اللبناني.

أبوعزة، فتح الله محمد (2012)، مساجد مدينة درنة– دراسة أثرية، ليبيا، طرابلس، منشورات المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية.

الأثرم، رجب عبدالحميد (1994)، محاضرات من تاريخ ليبيا القديم، ط2، ليبيا، بنغازي، جامعة قاريونس.

الأشهب، محمد الطيب (1956)، السنوسي الكبير، مصر، القاهرة، مطبعة محمد عاطف.

بالحاج، محمد الكوني (2000)، التعليم في مدينة طرابلس الغرب في العهد العثماني الثاني 1835–1911، ليبيا، طرابلس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية.

البلوشي، علي مسعود (2006)، تاريخ معمار المساجد في ليبيا في العهدين العثماني والقرمانلي 1551–1911م، ليبيا، بنغازي، دار الكتب الوطنية.

بوكرحومة، رحومة حسين (1999)، الزاوية الأسمرية العلمية بزليتن ودورها التربوي في ليبيا من 1935 الى 1957م، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الفاتح.

التيجاني، أبو محمد عبدالله بن محمد بن أحمد (1980)، رحلة التجاني، تونس، تونس، دار العربية للكتاب.

جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية، ماضيها وحاضرها، (1962م) ليبيا– البيضاء، إدارة الوعظ والإرشاد.

الحاجري، طه (1962)، الحياة الأدبية في ليبيا (الشعر)، مصر، القاهرة، معهد الدراسات العربية.

الحشائشي، محمد بن عثمان (1965)، رحلة الحشائشي الى ليبيا1985، جلاء الكرب من طرابلس الغرب، لبنان، بيروت، دار لبنان.

الحوات، علي (1993) التعليم العالي في ليبيا نشأته وتطوره وإنجازاته، مجلة الجامعي، العدد الأول، النقابة العامة لأعضاء هيئة التدريس الجامعي، طرابلس.

الدجاني، أحمد صدقي (1967)، الحركة السنوسية: نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر، لبنان، بيروت، دار لبنان.

الزاوي، الطاهر (2004)، أعلام ليبيا، ط3، دار المدار الإسلامي، لبنان، بيروت.

الزاوي، الطاهر أحمد (1968)، معجم البلدان الليبية، ليبيا، طرابلس، مكتبة النور.

الزاوي، الطاهر أحمد (1968)، معجم البلدان الليبية، ليبيا، طرابلس، دار الاتحاد العربي للطباعة.

الزريقاني، فتحي سالم محمد (2014)، الحياة الثقافة بمدينة زليتن 1951–1969م، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة مصراتة.

السنوسي، أحمد الشريف (1913)، بغية المساعد في أحكام المجاهد، القاهرة، مطبعة جريدة الشعب.

الشريف، عبدالله محمد؛ الطوير، محمد امحمد (1987)، دراسات في تاريخ المكتبات والوثائق والمخطوطات الليبية، ليبيا، مصراتة، الدار الجماهيرية للنشر.

شعيب، عمران عبدالسلام (2000)، عبدالواحد الدوكالي المسلاتي ودور زاويته في الحياة الثقافية في ليبيا، ليبيا، بنغازي، دار الكتب الوطنية.
شكري، محمد فؤاد (1948)، السنوسية دين ودولة، مصر، القاهرة، دار الفكر العربي.
الشيخ، رأفت غنيمي (1972)، تطور التعليم في ليبيا في العصور الحديثة، ليبيا، طرابلس، دار التنمية للنشر والتوزيع.
الصلابي، علي محمد (1999)، الحركة السنوسية في ليبيا، الأردن، دار البيارق.
الصلابي، علي محمد (2011)، تاريخ الحركة السنوسية في أفريقيا، لبنان، بيروت، دار المعرفة.
الطرابلسي، مصطفى عبدالعزيز (1999)، درنة الزاهرة، ليبيا، درنة، منشورات جامعة درنة.
العربي، غيث عبدالله (2014)، الزوايا التعليمية ودورها في الحياة الثقافية خلال العصر الحديث- عبدالله الدوكالي نموذجاً، مجلة القلعة، العد الأول، كلية الآداب والعلوم مسلاته.
العربي، نصرالدين البشير (2024)، نورالالي في معالم زاوية الدوكالي، ليبيا، مسلاته، مكتبة الكون للنشر والطباعة والتوزيع.
عمر، أحمد مختار (1971)، النشاط الثقافي في ليبيا من الفتح الإسلامي حتى بداية العصر التركي، لبنان، بيروت، دار الكتب.
عمران، رابعة مصطفى (2003)، الجامعة الأسمرية أسس وجذور، مجلة الجامعة الأسمرية، السنة الأولى، العدد الأول، ص469.
الكعاك، عثمان (1958)، محاضرات في مراكز الثقافة في المغرب من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر، مصر، القاهرة، معهد الدراسات العربية.
الكيب، نجم الدين غالب (1978)، مدينة طرابلس عبر التاريخ، ليبيا- تونس، دار العربية للكتاب.
المصراتي، علي مصطفى (1955)، أعلام من طرابلس، ليبيا، طرابلس، مطبعة ماجي.
موسى، عبدالله كامل (2002)، دراسات في الآثار الإسلامية في ليبيا، مصر، القاهرة، دار الآفاق العربية، القاهرة.
الهمالي، الهمالي مفتاح (2010)، الوقف في ولاية طرابلس، ليبيا، الزاوية، منشورات جامعة 7 اكتوبر.
يوشع، بشير قاسم (1973)، غدامس ملامح وصور، لبنان، بيروت، دار لبنان.
صالح، المبروك محمود؛ عبدالرزاق، أكرم عثمان (2019)، جهود المعهد الديني بجغبوب ودوره في النهوض باللغة العربية، أعمال ندوة علمية يوم إحياء اللغة العربية، منشورات المركز الليبي للأبحاث، طرابلس.

ثالثاً-الصحف والجرائد:

- الجريدة الرسمية للمملكة الليبية المتحدة، العدد رقم 13، السنة العاشرة، الصادر بتاريخ 1960/9/15م.
-الجريدة الرسمية للمملكة الليبية، عدد خاص، السنة الحادية عشر، الصادر بتاريخ 29 اكتوبر 1961م.
-مذكرات محمد عثمان الصيد، محطات في تاريخ ليبيا، اعدها للنشر طلحة جبريل ، ط1، 1996م، ص405.

رابعاً-شبكة الانترنت:

-جمعة قاجة، ملامح العمارة في طرابلس الإسلامية، بحث منشور على الموقع الالكتروني التالي:
https://historylibya.wordpress.com
- الجبل الغربي: بحث منشور على موقع ويكيبيديا- الموسوعة الحرة، على الموقع التالي:
https://ar.wikipedia.org/wiki
- موقع ويكيبيديا - الموسوعة الحرة- أهم مدينة زليتن التاريخية: مقال منشور على الموقع التالي:
https://ar.wikipedia.org/wiki